الإسلام دعم مبادئ السلم والتعايش الاجتماعي ونبذ العنف القائم على التفرقة والتطرف

مكافحة العنف الاجتماعي.. (أزمة) حلولها على الرف!!

تحقيق/ أوسان الكمالي - حسن شرف الدين

دعم الدين الإسلامي مبادئ السِّلم والتعايش الاجتماعي القائم على المحبة والسلام واحترام الآخر.. كما جاء نابذاً للعنف الاجتماعي القائم على التفرقة والتطرف.. ويرفض الإسلام العنف والتطرف لأنه يوّرث هدم أصول الفضيلة حيث يحيي الكراهية ويفتت شمل الأسر والمجتمع ويفرق أواصر المدنية ويشرذم مظاهر التقدم والحضارة.. كما أن العنـف معول يفتك بكل ترابط وتوادٍ وتكاتف وتجمع ويسـهم في توطيـن كل فوضى وبلبلة ويخلف الدمار ويجعل آثار الحياة حطاما وأطلالا وركاما ورمادا.

«الثورة» وقفت عند «موقف الإسلام من العنف الاجتماعي» من خلال قول المشائخ والكتاب وذوي الاختصاص.. فكانت الحصيلة التالية:

- مكافحة الفقر والبطالة تحد من أسباب العنف الاجتماعي

- إعادة إنتاج العنف تستدعي النظر في المنظومة التعليمية

بداية أكد الشيخ عبدالرحمن المروني؟ رئيس منظمة دار السـلام - على أهميـة نبذ العنف والتطـرف والإرهاب بكافة صـوره ومواجهته بكل الوسـائل التي تضمـن مواجهته وتجنيب المجتمـع والإنسـانية شـروره، والعمل على تعزيز مبـدأ الرفق في توعية المجتمع. وأهمية تظافر جهود الدولة والقطـاع الخاص والدعم الدولي في مكافحة الفقر والبطالة باعتبار الفقر والبطالة من أسـباب العنف الاجتماعي وقال: لابد من تكثيف دورات التوعية لقيادات المجتمع من خطباء ومرشـدين وتربويين وشـخصيات اجتماعية وقيـادات مجتمعية للتوعية بمخاطر العنـف الاجتماعي والتطـرف والإرهاب بكافة أشكاله.

ويـرى المروني أن حـل إشـكالية العنف الاجتماعي لا تتم عن طريق الإجراءات الجزائية المؤقتة وإنما من خلال إستراتيجية وطنية تحتل فيها هذه المسـألة الأولوية من حيث اعتبارها الأرضية المهيئـة لبناء الدولة الوطنية ونظامها الديمقراطي وأساسـه سـيادة القانون.. كما يجب رصد وسائل وآليات التنشئة الاجتماعية وتحليلها في نطاق كل مؤسسة على حده وعلاقة كل ذلـك بالعنف الاجتماعي وحسـب الترتيب التاريخـي لمراحل التنشـئة الاجتماعية بدءاً بالأسرة مروراً بالمدرسـة وانتهاء بالمجتمع. والتأكيد من خلال مناهج التربية وفي وسـائل الإعلام وخطـب الجمعة على المعاني العظيمة للإسلام التي تحرم أذية المسلم للناس بالقول أو بالفعل أو بأي نوع من أنواع الأذى فالمسلم من سـلم الناس من لسـانه ويده.. ولا بد من دعم إنشـاء مراكز الصحة النفسية والإرشاد الاجتماعي لمكافحة ظاهرة العنف الاجتماعي وترسـيخ مبدأ التكامل الاجتماعي بكل صوره الاجتماعيـة والأخلاقيـة والإنسـانية بعدالة ومساواة ودون تمييز والعمل على تعزيز ثقافة المحبة والوسـطية والاعتدال وترسـيخ السلم الاجتماعي وكذا الاهتمام بالتوجيه والإرشـاد الديني للتوعية بقيم ومفاهيم الدين الإسـلامي والتـي توفر قيـم العدالـة والمسـاواة ونبذ العنصرية وكافة أنواع التمييز بكافة أشكاله.

السلم

بدوره يُعرف الشـيخ حسـين السـراجي "السِّلم" عند اللغويين أنه الإسلام، ومن معانيه: الصلح، والسـلم: المسـالم كما جاء في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم "إني سلم لمن سـالمكم".. ولقد شغل السـلم حيزا كبيرا في التشريع الإسلامي فتارات بلفظ السِّلم وأخرى بالإشـارة إليه وغيرها بمعانيه يقول تعالى "يا أيها الذيـن آمنوا ادخلوا في السـلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشـيطان إنه لكـم عدو مبين" (البقـرة/٢٠٨) ويقول تعالـى "ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السـلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا" (النساء/٩٤).

وأضاف السـراجي: أن السِّلم في الإسلام أن تكون حرا مسـتقلا تعيـش بكرامتك دون اسـتعباد، كريما مكرما، عزيزا لا تستغل ولا تستبعد، فلست عبدا لأحد من المخلوقين وإنما لخالق الكون عز وجل.. فقد جسد النبي صلى الله عليه وآله وسـلم السِّـلم ممارسة وسلوكا مع خصومـه وألـد أعدائـه والمتآمرين عليه ودعى إلـى المحبة والتسـامح والتعايش كما كان يفعل ويعايش، فقـد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسـلم أنه سـلّم على مجلس فيه أخلاط من المشـركين والمسلمين وقد ذكرت الأحاديث المسـتوفاة حول السـلام على أهل الكتاب وناقشـها الإمام ابـن الأمير في كتابه "سـبل السلام شـرح بلوغ المرام" ومنها "إذا سلّم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم".. ويقول صلى الله عليه وآله وسلم "ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟.. قالوا: بلى يا رسول الله.. قال: أفشوا السلام بينكم وتواصلوا وتبادلوا".. ويقول الرسول الكريم "ليس الشديد بالصُّرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب".

التسامح في الإسلام

ويستطرد الشـيخ السراجي بالقول: أن من ممارسـات النبي صلى الله عليه وآله وسـلم تسـامحا ومحبة فقد عاش مع يهود يثرب ولم يكرههم أو يقسرهم على اعتناق الإسلام ووقع بينه وبين اليهود عهود ومواثيق وقد وقع النبي الكريم عقدا مع نصارى نجران يضمن بقاءهم في أماكنهم وإقامتهم في ديارهم وممارسـتهم كافة معتقداتهم وشـعائرهم بكل حرية وأمان وسلام والعقد مُدوَّن في كتب التاريخ والسير.. ومن أمعن النظر في تاريخ الإسلام وألقى نظرة فاحصة ولو واحـدة على صلح الحديبية الذي وقع بين رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكفار مكة لأدرك كم كان سليما ومحبا للصح ومدركا لثمار السلام في ذلك الموقف.

مخاطر العنف الاجتماعي

الباحـث أحمد ناجي النبهاني يعرف العنف الاجتماعـي أنه "أي سـلوك يـؤدي إلى إيذاء شخص لشـخص آخر كلاميا يتضمن أشكالا بسيطة من الاعتداءات الكلامية أو التهديد وقد يكون السـلوك فعليا حركيا كالضرب المبرح والاغتصـاب والحرق والقتل وقد يكون كلاهما وقد يؤدي إلى حدوث ألم جسـدي أو نفسي أو معاناة أو كل ذلك".. ويستند العنف الاجتماعي على اسـتخدام القوة بشـكل غير قانوني من قبل شـخص أو جماعة ضد شـخص أو ضد المجتمع.. والإسـلام ضد العنف الاجتماعي سـواء أكان هذا العنف موجه ضد المسلمين أو ضد غيرهم من الناس، فسـلامة المسلمين من الشـرور القولية أو الفعلية للمسلم عنوان على كمال إسلامه وسلامة الناس من الشرور القولية أو الفعلية للمسـلم عنـوان على كمال إسلامه بل أن سـلامته من الشرور القولية أو الفعلية عنـوان على كمال إيمانه.. فالمؤمن من أمنه النـاس على دمائهم وأموالهـم.. ويعتمد العنـف على مصادر تتمثل بجهل تعاليم الدين التي تنبذ العنف كما أن الأمية والفقر والبطالة والأمـراض النفسـية تعد من أهـم المصادر المغذية للعنف الاجتماعي.

وعن مخاطر العنف الاجتماعي يقول الباحث النبهاني أن مخاطـر العنف الاجتماعي تتركز على الأمن والاستقرار وسـمعة الوطن ودوره في إشاعة مناخ الخوف والرعب وانعدام الأمان وخراب الاقتصـاد في الوطـن وتدميره لحق الإنسان في الحياة الحرة والكريمة.

ويـرى الباحـث النبهاني لمواجهـة العنف الاجتماعـي ضرورة نبذ العنـف والعمل على تعزيز مبدأ الرفق في التوعية للمجتمع والارتقاء بالمسـتوى العلمي للمجتمع ومحاربة الجهل والمفاهيـم المتخلفة، بالإضافـة إلى ضرورة تضافر جهـود الدولة والقطاع الخاص والدعم الدولي في مكافحة الفقر والبطالة باعتبار الفقر والبطالة من أسـباب العنـف الاجتماعي إلى جانب تعميم التربية المدنية في المدارس والحد مـن أفلام العنف التي تسـاعد على انتشـار العنف بالتقليد والمحاكاة، ودعم إنشاء مراكز الصحة النفسية والإرشاد الاجتماعي لمكافحة ظاهرة العنف الاجتماعي.

إفشاء التسامح

ومن منظور حقوق الإنسـان في الإسـلام والشريعة الدولية يقول الكاتب محمد السهماني أن من أهم الأصول الإنسانية المثالية التي جاء بها الإسلام لمجتمع الإنسان الدعوة إلى التحلي بالأخلاق الحسنة وإشـاعة المحبة والتسامح والإخاء.. بل إن تحيّة الإسـلام وهي "السـلام عليكـم" هي من أبـرز السـمات اللفظية التي تعلن التجديد لتعاهـد هذه المبادئ وتحذيرها في صميم واقع الإنسـان ووسطه حيث تشعر بإعلان السلم والأمن والتسـامح والإخاء بين أفراد المجتمع، وإشـاعة الود والالتحام ونشر أواصر المحبة بين قلوبهم.. والعنف في ميزان الشـريعة الإسلامية هو واقع مرفوض وظاهرة ممقوتة وشذوذ محرم، لأنه وأد للقيم السمحاء وحرب تسـتهدف نبذ كل مـؤودة ورفق وأناءة في واقـع الحياة ويفرغ الإنسـان من محتواه الإنسـاني الاجتماعي ويجعله جسدا بلا روح وكيانا بلا عواطف وكتلة نار تضيء لتحرق بلا مشاعر ويحوله إلى وحش ضار مفترس.

ويضيف السـهماني أن سـبب نبذ العنف الاجتماعي يؤول إلى ما يسببه من هدم لأصول الفضيلة حيث يحيي الكراهية ويذكي نار الحقد ويدفع للقطيعة ويفتت شـمل الأسر والمجتمع ويفرق أواصر المدنية ويشرذم مظاهرة التقدم والحضارة ويشـيع مظاهـر التخلف والجهل والبـداوة ومنطق الغاب.. ولأنه معول يفتك بكل ترابط وتواد وتكاتف وتجمع ويسهم في توطين كل فوضى وبلبلة ويخلـف الدمار ويجعل آثار الحيـاة حطاما وأطلالا وركامـا ورمادا.. فهو بذلك يضاد جميع الخطوط العريضة والتفصيلية للأطروحـات البناءة والأهداف السـامية التي جاءت بها جميع الأديان السـماوية لانتشـال الإنسـان من وهده الضياع وظلمات الجاهلية إلـى بر الأمان والحياة المسـتقرة السـعيدة المثالية المتقدمة المتمدنة، بل يضاد الغاية التي من أجلها خلق الإنسـان في هذه الحياة وفي هذا المسرح الكبير المسمى بالكون.

أهمية التعليم

أما الدكتـور عبدالباقي شمسـان؟ باحث اجتماعـي؟ فيقول: أن العنـف وإعادة إنتاجه مسـألة معقدة وبنيوية ومعالجتهـا لا تتم عبر المعالجـات والإجـراءات الجزئيـة والمؤقتة ولكن من خلال اسـتراتيجية وطنية تحتل فيها هذه المسـألة الأولوية مـن حيث اعتبارها هي الأرضية المهيـأة لبناء الدولة الوطنية ونظامها الديمقراطي وأساسـه سيادة القانون. مؤكداً " أننا لسـنا ضد القبيلة أو رموزها وإنما مع أن ينعم المجتمع القبلي كجزء من المجتمع اليمني بالتنمية والاستقرار والأمن والأمان وعلى الدولة أن تعيد حسـاباتها فيما يتعلـق بتقوية القوى التقليدية من خلال إعادة إنتاجها وتمثلها بنسب متزايدة في السلطة التشـريعية وهو ما يؤدي إلى إضعاف المؤسسـات الحديثة من أحزاب ومؤسسـات المجتمع المدني الأمر الذي يفقد تلك المؤسسات الحديثة الالتفاف الجماهيري نتيجة لعدم قدرتها على تمثيل وحماية مصالح الجماهيـر، من جانـب ويفقدها القـدرة على الانتظـام بهيئة حركات اجتماعيـة تلعب دوراً مهمـاً باتجاه بنـاء الدولة الحديثـة ونظامها الديمقراطي. مشيراً إلى أن إعادة إنتاج العنف تذهب نحو إعادة النظر في المنظومة التعليمية التي تعيد إنتاج التمايز.

تصوير/ فؤاد الحرازي